



شرح الصدر في السؤال عن أول هذا الأمر

تأليف

منصور السماري

مصدر هذه المادة :





دار العاصمة

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار؛ فلقد تركنا رسول الله ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فترك فينا ما إن تمسكنا به فلن نضل بعده: كتاب الله وسنته، فلم يترك خيرًا إلا ودلنا عليه، ولا شرًا إلا وحذرنا منه، فبلغ البلاغ المبين في جميع أمور الدين الظاهرة والباطنة، العملية والعلمية، الأحكام والعقائد، حتى تبين الرشد من الغي، والهدى من الضلال، والحلال من الحرام، والمعروف من المنكر، والحق من الباطل، وطريق الجنة من طريق النار، فليس لأحد أن يعدل عما جاء به الرسول ﷺ، بل على الناس أجمعين أن يتبعوه ويسلموا لحكمه، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٦٥].

فهذه جمل جمعتها وفوائد انتخبتها في شرح حديث سؤال أهل اليمن عن أول هذا الأمر، وسميتها «شرح الصدر في السؤال عن أول هذا الأمر»، وقد بذلت وسعي في جمع ألفاظ الحديث والكلام

على علله واختلاف ألفاظه بعد تخريجه من كتب الحديث، ثم بيـــان المعنى الذي دل عليه، وخطأ من تأوَّله على غـــير تأويلـــه، وحـــل مشكله برد متشابهه إلى محكمه، وذكر ما في السنة من شواهده.

والله أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه، وأن ينفعني به وينفع مـــن قرأه، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أســـتغفرك وأتوب إليك.

وكتب

أبو عبد العزيز منصور بن عبد العزيز

السماري

في المدينة النبوية

* * *

ورد في صحيح الإمام البخاري رحمه الله في كتاب:

«التوحيد والرد على الجهمية» باب:

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

قال: حدثنا عبدان، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن جامع بن شداد، عن صفوان بن محرز، عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: إني عند النبي ﷺ، إذ جاءه قوم من بني تميم، فقال: «**اقبلوا البشرى يا بني تميم**» قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم**» قالوا: قبلنا، جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء**».

ثم أتاني رجل فقال: يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت، فانطلقت أطلبها فإذا السراب ينقطع دونها، وايم الله لوددت أنها قد ذهبت و لم أقم [1].

وقال في كتاب بدء الخلق في الباب الأول منه:

حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، فذكره بنحو حديث أبي حمزة السكري، ولكن قال فيه: «كان الله و لم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل

(١) الفتح (٤٠٣/١٣) ح٧٤١٨، ورواه ابن منده بسنده إلى أبي حمزة السكري في كتاب التوحيد (٨٣/١) ح٩.

شيء، وخلق السموات والأرض»[(١)].

فرواه بمثل رواية أبي حمزة السكري، عن الأعمش شيبان بن عبد الرحمن [(٢)] وكذلك محمد بن خازم أبو معاوية الضرير، ولكن بلفظ: «**كان الله قبل كل شيء، وكان عرشه على الماء..**»[(٣)]. ورواه بمثل رواية حفص بن غياث، عن الأعمش: أبو إسحاق الفزاري[(٤)]، وكذلك أبو عبيدة بن معن[(٥)]، وأبو بكر بن عياش[(٦)]،

(١) الفتح (٢٨٦/٦) ح٣١٩١، ورواه يعقوب البسوي عن شيخ البخاري في المعرفة والتاريخ (١٩٥/٣) ثم البيهقي في سننه الكبرى (٩/٢-٣) كتاب السير، وفي الاعتقاد له (ص٥٥) باب في ذكر صفة الفعل.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه: الإحسان (١١/١٤) ح٦١٤٢ وابن منده في التوحيد (٨٥/١) ح١٠، (١٨٥/٣) ح٦٣٦ والبيهقي في الكبرى (٢/٩) مبتدأ الخلق.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤٣١/٤-٤٣٢) ثم أبو نعيم في الحلية (٢١٦/٢)، ورواه ابن جرير في تاريخه (٣٨/١)، والطحاوي في مشكل الآثار (٢٩٩/١٤) ح٥٦٢٩، وأبو الشيخ في العظمة (٥٧١/٢) ح٢٠٧، والبيهقي في الصفات (٥٦٣/١) ح٤٨٩.

(٤) رواه عثمان الدارمي في رده على الجهمية (ص٢٨) ح٤٠ وفي رده على المريسي (ص٨٦-٨٧)، والطحاوي في مشكل الآثار (٣٠٠/١٤-٣٠١) ح٥٦٣٠، والآجري في الشريعة (ص١٧٦-١٧٧) والطبراني في الكبير (٢٠٤/١٨-٢٠٥) ح٥٠٠ وأبو نعيم في الحلية (٢٥٩/٨-٢٦٠) وابن منده في التوحيد (٨٢/١) ح٨، (١٨٥/٣) ح٦٣٦ والبيهقي في الصفات (٢٣٤/٢) ح٨٠٠، وفي الاعتقاد (ص٥٥).

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه (الإحسان) (٧/١٤)، ح٦١٤٠.

(٦) رواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في العرش (ص٥١ ح١، ثم الطبراني في الكبيير (٢٠٣/١٨) ح٤٩٧.

ومحمد بن عبيد [١]، ورواه خالد بن الحارث [٢]، والنضر بن شميل [٣]، عن المسعودي، عن جامع بن شداد بمثل رواية أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عن جامع [٤].

(١) رواه ابن أبي عاصم في الأوائل (ح١٥٧).

(٢) رواه النسائي في الكبرى (٣٦٣/٦) ح١١٢٤٠ كتاب التفسير (سورة هود).

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٤/١٢) وفي تاريخه (٣٨/١).

(٤) اختلفت الروايات عن المسعودي عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وذلك بسبب اختلاطه، وخلاصة قول أهل العلم فيه أنه ثقة اختلط بآخره، وأن سماع من سمع منه قديمًا صحيح، والقدم هنا هو: من سمع منه بالكوفة أو البصرة أو في أول قدومه بغداد، أو من سمع في زمان أبي جعفر المنصور، وقد ذكروا فيمن سمع منه قديمًا: خالد بن الحارث، والنضر بن شميل، وفيمن سمع منه بعد اختلاطه: يزيد بن هارون.

انظر: الكواكب النيرات (ص٢٨٢-٢٩٨).

والحديث رواه يزيد بن هارون، عن المسعودي، عن جامع بن شداد، عن ابن بريدة الأسلمي عن بريدة بن حصيب الأسلمي ﷺ أخرج هذه الطريق أبو الشيخ في العظمة (٥٧٤/٢-٥٧٥) ح٢٠٨، ورواه عبد الله بن يزيد المقرئ عن المسعودي عن جامع بن شداد عن رجل عن بريدة ﷺ أخرج هذه الطريق أيضًا أبو الشيخ في العظمة (٥٧٧/٢-٥٧٨) ح٢١١.

ورواه روح بن عبادة، عن المسعودي، عن جامع بن شداد، عن صفوان بن محرز، عن بريدة ﷺ أخرج هذه الطريق ابن خزيمة في التوحيد (٨٨٤/٢) ح٥٩٣، والحاكم في المستدرك (٣٤١/٢) كتاب التفسير (سورة هود).

وهذا الاختلاف سببه اختلاط المسعودي، رحمه الله، والصواب ما رواه خالد بن الحارث والنضر بن شميل، عن المسعودي، عن جامع، عن صفوان بن محرز، عن عمران بن الحصين رضي الله عنهما فخالد والنضر رويا عن المسعودي قبل اختلاطه، وروايتهم عن المسعودي عن جامع وافقت رواية الأعمش وغيره عن جامع.

وبهذا يعلم أن الحديث روي بألفاظ متعددة، والمجلس كان واحدًا، وسؤال أهل اليمن وجوابه ﷺ كان في ذلك المجلس، وعمران رضي الله عنه الذي روى الحديث لم يقم منه حين انقضى المجلس، بل قام لما أخبر بذهاب راحلته قبل فراغ المجلس، وهو المخبر بلفظ الرسول ﷺ، فدل ذلك على أنه إنما قال أحد الألفاظ، والباقي روي بالمعنى، فكأن أشبه الألفاظ بقول رسول الله ﷺ، قوله: «**كان الله ولم يكن شيء قبله**» لما ثبت عن رسول الله ﷺ، أنه كان يقول إذا أوى إلى فراشه: «**اللهم رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين واغنني من الفقر**»(١).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/٢٥١) ح٩٣٦٢، وأحمد في المسند (٢/٣٨١، ٤٠٤، ٥٣٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٢/٦١٩) ح١٢١٢، ومسلم في صحيحه (٤/٢٠٨٤) ح٢٧١٣، وأبو داود في سننه (٥/٣٠١) ح٥٠٥١، وابن ماجه في سننه (٢/١٢٧٤-١٢٧٥) ح٣٨٧٣، والترمذي في جامعه (٥/٤٧٢) ح٣٤٠٠ وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبري في عمل اليوم والليلة (٦/١٩٧، ح ١٠٦٢٦، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٦٦ - ٢٦٨) ح ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، وابن حبان في صحيحه (الإحسان) (١٢/٣٤٨) ح٥٥٣٧، وابن السني عن النسائي في عمل اليوم والليلة (ص٣٣٣-٣٣٤) ح٧١٥ وابن منده في =

=

التوحيد (٢/٥٧، ٨٣) ح٢٠٠، ٢٢٤، وفي (٣/ ٢٦٨ - ٢٦٩) ح ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، والبيهقي في الصفات (١/٣٨) ح١٢.

من طرق عن سهيل بن أبي صالح عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ به.

ورواه مسلم في صحيحه، والترمذي في جامعه (٥/٥١٨) ح٣٤٨١ وقال: حسن غريب، وفي علله الكبير (٢/٩١٥) باب (٤٠٩)، وابن خزيمة في التوحيد (١/٢٦٥-٢٦٦) ح١٦٧، وابن منده في التوحيد (٢/٨٢) ح٢٢٣، والبيهقي في الصفات (١/٩٨) ح٥٣، والخطيب في تاريخه (٦/٩٨-٩٩)، وأبو إسماعيل الهروي في الأربعين في دلائل التوحيد (ص٥٧-٦٠) ح١٥ من طرق عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ قال: أتت فاطمة النبي ﷺ، تسأله خادمًا، فقال لها: (قولي: اللهم رب السموات..) بمثل حديث سهيل عن أبيه. قلت: هذه الزيادة مشكلة، إذ المحفوظ في جواب النبي ﷺ لها ولعلي رضي الله عنهما بعد مجيئها وسؤالها الخادم، أنه علمهما التسبيح ثلاثًا وثلاثين والتحميد ثلاثًا وثلاثين والتكبير أربعًا وثلاثين، وذلك مروي في الصحيحين من حديث علي ﷺ من طرق، ومن حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ عند مسلم وغيره، ومجيء فاطمة رضي الله عنها تسأل خادمًا إنما كان مرة واحدة كما هو ظاهر، ولعل هذا هو الذي جعل البخاري يعل هذه الرواية باختلاف الرواة على الأعمش، فاعتد بمخالفة قائد الأعمش عبيد الله بن سعيد أبو مسلم — مع ضعفه — لمن هو أوثق منه، كما في علل الترمذي الكبير، وأعلها أيضًا الدارقطني في علله (١٠/٢٠٩) س١٩٨٠. ورواه النسائي في الكبرى (٦/١٩٧) ح١٠٦٢٥، وعنه ابن السني في عمل اليوم والليلة (ص٣٤٦-٣٤٧) ح٧٤٤، وأبو يعلي في مسنده (٨/٢١٠) ح٤٧٧٤، من طريقين عن الشعبي عن عائشة رضي الله عنها وظاهر طريق النسائي الصحة، فهو يرويه عن محمد بن قدامة بن أعين، عن جرير بن عبد الحميد عن مطرف عن الشعبي عن عائشة رضي الله عنها، وقد خالفه إسحاق بن راهويه وأبو خيثمة زهير بن حرب، فروياه عن جرير عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ كما هو

=

وهذا الحديث مفسر لقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ وكذلك حديث عمران ﷺ فيه تفسير لقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾؛ لأن أهل اليمن سألوا عن أول هذا الأمر، فأوضح لهم النبي ﷺ أولية الله المطلقة التي ليس لها بداية، قبل أن يشرع في الإجابة عن بداية خلق هذا العالم الذي سألوا عن أوله، فكلا الحديثين قد فسر قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ فلزم التشابه بين التفسيرين، وأقرب الألفاظ لحديث أبي هريرة ﷺ أولى بالترجيح، وهو قوله: «**كان الله ولم يكن شيء قبله**». والباقي في الألفاظ إنما روي بالمعنى، فما اشتبه من معناه رد إلى هذا اللفظ الراجح.

المحفوظ، فقد رواه عن سهيل بهذا الإسناد وهيب وحماد بن سلمة وعبد العزيز المختار، وخالد الطحان، وإسماعيل بن أبي عياش، وقد يكون الحديث محفوظًا عند جرير من الطريقين، والله أعلم، وأما طريق أبي يعلي فواهية. ورواه الطبراني في الكبير (٢٣/٣١٦-٣١٧، ٣٥٢) ح٧١٧، ٨٢٥، وفي الدعاء له (٣/١٤٣٦-١٤٣٧ ، ١٤٦٥) ح١٣٥٦، ١٤٢٢، والبيهقي في الصفات (١/٣٩) ح١٣ وعلقه البخاري في التاريخ (٦/٤٧٩) من طريق عاصم بن أبي عبيد عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: «**اللهم أنت الأول لا شيء قبلك، وأنت الآخر لا شيء بعدك، أعوذ بك من شر كل دابة ناصيتها بيدك**.. الحديث». ولفظه مغاير، وإنما ذكرته لمحل الشاهد منه وهو قوله: «**اللهم أنت الأول لا شيء قبلك**». وعاصم هذا ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً، وذكر البخاري في تاريخه عاصمًا هذا وذكر حديثه عن أم سلمة، والحديث فيه اختلاف؛ فمرة يروى عن موسى بن عقبة عن عاصم عن زينب بنت أبي سلمة، أو عن أمها، ومرة يروى عن موسى بن عقبة عن عاصم عن أم سلمة، وعاصم فيه جهالة.

إذا تقرر ذلك، لم يكن في هذا اللفظ تعرض لابتداء الحوادث ولا لأول مخلوق، وأنه ليس مراد الرسول ﷺ هذا، بل إن الحديث يناقض هذا، ولكن مراده الإخبار عن خلق هذا العالم المشهود الذي خلقه الله في ستة أيام ثم استوى على العرش، كما أخبر الله بذلك في كتابه في غير موضع، ويدل على هذا أن قول أهل اليمن: «**جئناك لنسألك عن أول هذا الأمر**» إما أن يكون الأمر المشار إليه هذا العالم، أو جنس المخلوقات، فإن كان المراد هو الأول كان النبي ﷺ قد أجابهم؛ لأنه أخبرهم عن أول خلق هذا العالم، وإن كان المراد الثاني لم يكن قد أجابهم؛ لأنه لم يذكر أول الخلق مطلقًا، وإنما ذكر خلق السموات والأرض، ولم يذكر خلق العرش، فعلم أنه أخبر بأول خلق هذا العالم لا بأول الخلق مطلقًا، وإخباره بخلق السموات والأرض بعد أن كان عرشه على الماء يقصد به الإخبار عن ترتيب بعض المخلوقات على بعض وهذه زيادة إيضاح، وإلا فهم لم يسألوه عن مجرد الترتيب وإنما سألوه عن أول هذا الأمر، وإذا كان إنما أجابهم بهذا علم أنهم إنما سألوه عن هذا، لم يسألوه عن أول الخلق مطلقًا؛ فإنه لا يجوز أن يكون أجابهم عما لم يسألوه عنه ولم يجبهم عما سألوا عنه، بل هو ﷺ منزه عن ذلك.

وقولهم: «**هذا الأمر**» إشارة إلى حاضر موجود، ولو سألوه عن أول الخلق مطلقًا لم يشيروا إليه «**بهذا**» فإن ذاك لم يشاهدوه، بل لم يعلموه، فلا يشيرون إليه «**بهذا**» فعلم أن سؤالهم كان عن أول هذا العالم المشهود [1].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٨/٢١٢-٢١٣).

وهذا إذا تحتم الترجيح بين الروايات، وأما مع إمكان الجمع – وهو أولى – فإن قوله: «**كان الله**»: (كان) هنا تفيد الأزلية، وهي ما لا بداية له؛ أي: لا بداية له سبحانه، وكذلك قوله: «**ولم يكن شيء غيره**» معناه نفي الأزلية عما سواه، أي: لم يكن شيء غيره ككونه سبحانه؛ إذ كل مخلوق كان بعد أن لم يكن؛ فالحديث فيه تقرير التوحيد، وهو من معنى (لا إله إلا الله)؛ ففيه نفي وإثبات؛ نفي للأزلية عن كل مخلوق بعينه، فهي من صفات الألوهية، وإثباتها له سبحانه، وقوله: «**ولم يكن شيء قبله**» هو تأكيد لمعنى الأزلية في قوله: «**كان الله**».

وهذا المعنى لا يوجد أي إشكال بين ألفاظ الحديث المتعددة، فيكون أقرب وأولى من غيره، وأما من قال بأن قوله: «**ولم يكن شيء غيره**» أي لم يوجد شيء معه، فهو معنى فاسد من وجهين:

أحدهما: أنه اختلف معنى (كان) في أول الحديث عن معناها في آخره من غير دليل، والأصل اتحاد المعنى.

ثانيهما: أن في هذا المعنى تنقصًا للخالق سبحانه، بأنه خلق ذاك المخلوق بعينه بعد أن لم يكن خلق شيئًا قبله، فجعله معطلاً عن الخالقية ثم صار كاملاً بعد خلقه لذاك المخلوق.

والله عز وجل يقول: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾؛ فلله الكمال المطلق في الاتصاف بالخالقية، فلا يجوز أن ينفك عن هذه الصفة، فهي قديمة أزلاً وأبدًا كقدم ذاته سبحانه.

فإن قيل: وصف ذاك المخلوق بأنه أول المخلوق مطلقًا لا يمنع

من القول بأنه الله يخلق في الأزل، فيقال: بل يمتنع ذلك إلا إذا جعل ذاك المخلوق مقارنًا لله أولاً وأبدًا، فيمتنع حينئذ أن يكون مخلوقًا لله؛ لأن الخالق لابد أن يتقدم على المخلوق، فإن كون الفاعل مقارنًا لمفعوله أزلاً وأبدًا مخالف لصريح المعقول ولصحيح المنقول، إلا إذا أردت أنه لا يمنع من القول بأن الله قادر على أن يخلق في الأزل، فيقال: هذا القول فيه إثبات القدرة على الخلق وليس فيه إثبات الفعل، وهو أنه يخلق.

فإذا تقرر ذلك ثبت أن الله عز وجل كان يخلق في الأزل، والأزل ليس شيئًا محدودًا بل معناه عدم الأولية.

فإذا ظن الظان أن هذا يقتضي قدم شيء معه، كان ذلك من فساد تصوره؛ لأن الله خالق كل شيء؛ فكل ما سواه مخلوق مسبوق بالعدم، فليس معه شيء قديم بقدمه، فإذا قلنا: لم يزل يخلق، كان معناه: لم يزل يخلق مخلوقًا بعد مخلوق، كما لا يزال في الأبد يخلق مخلوقًا بعد مخلوق، فكل مخلوق له ابتداء لا نجزم أن يكون له انتهاء؛ لأن الله يكتب الخلود لما يشاء من مخلوقاته، وهذا قد تواترت النصوص من الكتاب والسنة على إثباته، وهذا فرق في أعيان المخلوقات، وهو فرق صحيح لكن يشتبه على كثير من الناس (النوع) بـ (العين) كما اشتبه ذلك عليهم في كلام الله، فلم يفرقوا بين كونه كلامه قديمًا بمعنى أنه لم يزل متكلمًا إذا شاء، وبين كون الكلام المعين قديمًا، وكذل لم يفرقوا بين كون الفاعل يفعل شيئًا بعد شيء دائمًا وأبدًا، وبين كون الفعل المعين قديمًا.

فمن اهتدى في هذا الباب إلى الفرق بين (النوع) و (العين)[١] تبين له فصل الخطأ من الصواب في مسألة الأفعال والكلام [٢].

بقي حديث قد يشكل ظاهره على من لم يتدبره ويجمع طرقه واختلاف ألفاظه، وهو ما روى عبادة بن الصامت ﷺ عن رسول الله ﷺ، قال: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: يا رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»[٣].

---

(١) التفريق بين (النوع) و (العين) أصل عظيم في باب التكفير، والتبديع، والتفسيق، واللعن، وغيرها، وقد ضلت الخوارج وغيرهم بسبب جهلهم لهذا الأصل. والله المستعان.

(٢) انظر: الفتاوى (١٨/٢٣٩-٢٤٠).

(٣) رواه أحمد في المسند (٥/٣١٧)، والبخاري في تاريخه (٣/٢/٩٢)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٥٠) ح١٠٧، والبزار في مسنده (٢/٥٠) مخطوط، وابن جرير في التفسير (٢٩/١٧)، وفي تاريخه (١/٣٢)، والدولابي في الكنى (ص١٠٣)، والآجري في الشريعة (ص٨٣-٨٤، ١٧٧-١٧٨). من طريق عن معاوية بن صالح، عن أيوب بن زياد أبي زيد الحمصي، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه الوليد، عن أبيه عبادة به.

قال علي بن المديني عن هذا الإسناد: (إسناد حسن). ذكره ابن حجر في النكت على الأطراف (٤/٢٦١). ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده (ص٧٩) ح٥٧٧ ومن طريقه أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/٤٩) ح١٠٥، والترمذي في جامعه (٤/٤٥٧ -٤٥٨) ح٢١٥٥ وقال: حديث غريب من هذا الوجه، وفي (٥/٤٢٤) ح٣٣١٩ وقال: حديث حسن غريب، وفي تحفة الأشراف وكذلك في تحفة الأحوذي قال: حسن صحيح غريب، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٧٩) من =

=

تفسير ابن كثير، واللالكائي في شرح الاعتقاد (٢١٨/٢) ح٣٥٧.

ورواه ابن جرير في تفسيره (١٦/٢٩) وفي تاريخه (١/ ٣٢ - ٣٣) من طريق عباد بن العوان، ورواه علي بن الجعد في مسنده ح (٣٤٤٤) ومن طريقه أخرجه البخاري في تاريخه (٩٢/٢/٣)، واللالكائي في شرح الاعتقاد (٦١٥/٤) ح١٠٩٧، ثلاثتهم عن عبد الواحد بن سليم، عن عطاء بن أبي رباح عن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عبادة به. وقد تابع عبد الواحد، عبد الله بن السائب عند ابن أبي عاصم في السنة (٤٨/١ -٤٩) ح١٠٤ وفي الأوائل (ص٢٦) ح٢، ولكن في سنده بقية بن الوليد وهو يدلس التسوية وقد عنعن، ورواه ابن وهب في القدر (ص١٢١-١٢٢) ح٢٧، وأحمد في المسند (٣١٧/٥) عن موسى بن داود، وابن أبي عاصم في السنة (٤٨/١) ح١٠٣، وفي الأوائل (ص٢٥) ح١ من طريق مروان بن محمد، ثلاثتهم عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب، قال ابن وهب: عن عبادة به، وقال موسى ومروان عن الوليد بن عبادة: عن عبادة به. وفيه: ابن لهيعة. ورواه ابن وهب في القدر (ص١٢١) ص٢٦ من طريق الأعمش قال: قال عبادة بن الصامت به، وهذا منقطع ولعل الواسطة بين الأعمش وعبادة: ابنه الوليد. والله أعلم.

ورواه أبو داود في سننه (٧٦/٥) ح٤٧٠٠، ثم البيهقي في الاعتقاد (ص٨٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢٤٨/٥) من طريق يحيى بن حسان عن الوليد بن رباح — كذا قال وهو خطأ، والصواب: رباح بن الوليد عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي حفصة حبيش بن شريح الحبشي الشامي عن عبادة به.

ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٤٨/١) ح١٠٢ من طريق مروان بن محمد، عن رباح بن الوليد بن يزيد، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي عبد العزيز الأردني، عن عبادة به.

وأبو عبد العزيز هذا لعله هو حبيش بن شريح، فإن كان هو، فهي الطريق المذكورة قبل، وإسناده لا بأس به، ورواه الآجري في الشريعة (ص٨٤، ١٧٨) من طريق معاوية بن يحيى الصدفي، عن الزهري، عن محمد بن عبادة عن أبيه عبادة بن =

ورواه ابن المبارك عن رباح بن زيد، عن عمر بن حبيب، عن القاسم بن أبي بزة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: «**أول شيء خلق الله تعالى القلم، فأمره فكتب كل شيء يكون**»[(١)].

=

الصامت به، والصدفي ضعيف.

(١) رواه عثمان الدارمي في رده على الجهمية (ص١٢١) ح ٢٥٣، وفي رده على المريسي (ص١٩٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٥٠) ح١٠٨، وفي الأوائل (ص٢٦) ح٣ وابن الإمام أحمد في السنة (٢/٣٩٣) ح٨٥٤، وأبو يعلي في مسنده (٤/٢١٧) ح٢٣٢٩، وفي معجمه (ص٨٢-٨٣)، وابن جرير في تفسيره (٢٩/١٦) وفي تاريخه (١/٣٢)، وابن حبان في روضة العقلاء (ص١٥٧)، والطبراني في الأوائل (ص٢٢) ح١، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٨١ -١٨٢)، والبيهقي في الكبرى (٩/٣) وفي الصفات (٢/٢٣٧) ح٨٠٣ من طرق عن عبد الله بن المبارك به.

وهذا الحديث رجاله كلهم ثقات. قال ابن كثير في تفسيره (٧/٧٩) عن هذه الطريق: «غريب من هذا الوجه، ولم يخرجوه» أي أصحاب الكتب الستة، وحديث ابن عباس لم يرو مرفوعًا عنه إلا من هذه الطريق.

فقد رواه ابن جرير في تفسيره (٢٩/١٥) وفي تاريخه (١/٣٤، ٥١ - ٥٢)، والآجري في الشريعة (ص٨٤، ١٧٨)، والطبراني في الكبير (١١/٤٣٣) ح ١٢٢٢٧، من طرق عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى مسلم بن صبيح عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا بنحوه، وقال فيه: (... **اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**) وفيه زيادة.

وروى وكيع في نسخته عن الأعمش ح(٤)، وابن جرير في تفسيره (٢٩/١٤) وفي تاريخه (١/٣٣، ٥٠، ٥١) والآجري في الشريعة (ص٨٥، ١٧٩) وأبو الشيخ في العظمة (٤/١٣٨٠) ح٨٩٧، وابن منده في التوحيد (١/٩٣ - ٩٤) ح ١٤، ١٥،

=

ورواه سفيان الثوري عن أبي هاشم عن مجاهد قال: قلت لابن عباس: إن ناسًا يكذبون بالقدر فقال: «**إنهم يكذِّبون بكتاب الله، لآخذن بشعر أحدهم فلأنصونه، إن الله تعالى ذكره كان علـــى** =

والحاكم في مستدركه (٤٩٨/٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الكبرى (٣/٩) وفي الصفات (ص٤٨١) من طرق عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا بنحوه، وقال فيه: «... **فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم إلى قيام الساعة**» وفيه زيادة.

ورواه الآجري في الشريعة (ص٨٥، ١٧٨) من طريق عصمة أبو عاصم عن عطاء بن السائب عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا بنحوه وفيه ألفاظ غريبة، وعصمة أبو عاصم، هذا لم أعثر على من ترجم له.

ورواه ابن جرير في تفسيره (١٧/٢٩) وفي تاريخه (٣٥/١) من طريق شعبة عن أبي هاشم المكي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا بنحوه.

ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٤٩/١) ح١٠٦، والآجري في الشريعة (ص١٧٥)، والطبراني في مسند الشاميين (٣٨٩/١) ح٦٧٣، من طرق عن بقية قال: حدثنا أرطاة بن المنذر عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ، بمعنى حديث ابن عباس، وفيه زيادة، وفي سنده بقية ولم يصرح بالتحديث عن شيخ شيخه وهو يدلس التسوية، وقد رواه الدارقطني في كتاب الصفات (ص٣٥) ح١٤ من طريق عتبة بن السكن الفزاري قال: حدثنا أرطاة بن المنذر قال: حدثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر به، فظهر أن الواسطة هو ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف.

ورواه الطبراني في مسند الشاميين (٣٩٧/٢) ح١٥٧٢ من طريق أخرى عن ابن عمر، بمثل حديث ابن عباس، وفي سنده نصر بن محمد بن سليمان، وهو ضعيف.

ورواه الآجري في الشريعة (ص٨٣، ١٧٧) من حديث أبي هريرة ﷺ وفي سنده الحسن بن يحيى الخشني: ليس بشيء، وشيخه لا يعرف.

ورواه الخطيب في تاريخه (٤٠/١٣) من حديث علي ﷺ وسنده مظلم.

عرشه قبل أن يخلق شيئًا، فكان أول ما خلق الله القلم، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه»[1].

فدل هذا اللفظ على أن الله خلق القلم بعد خلقه عرشه، وأن

---

(١) رواه عثمان الدارمي في رده على الجهمية (ص٣١) ح٤٤، وفي رده على بشر المريسي (ص٨٧)، وابن جرير في تفسيره (١٧/٢٩) وفي تاريخه (٣٤/١) والآجري في الشريعة (١٧٩، ٢٩٣) من طرق عن سفيان الثوري به.

وقد روى شعبة هذا الخبر عن أبي هاشم — كما تقدم — ولم يقل فيه ما قال سفيان من أن الله عز وجل كان على عرشه قبل أن يخلق شيئًا، وما زاده الثوري مقبول فهو زيادة ثقة بل هو أولى من رواية شعبة، فقد روى وكيع عن شعبة قال: سفيان أحفظ مني وإذا خالفني في حديث فالحديث حديثه، وقال رجل لشعبة: خالفك سفيان، فقال: دمغتني، وقال يحيى القطان: ليس أحد أحب إلى من شعبة، ولا يعدله أحد عندي، وإذا خالفه سفيان أخذت بقول سفيان، وقال أيضًا: سفيان أثبت من شعبة وأعلم بالرجال، وقال أيضًا: ما رأيت أحدًا أحفظ من سفيان ثم شعبة، وذكر شعبة وسفيان مرة فقال: سفيان أقل خطأ؛ لأنه يرجع إلى كتاب. وقال يحيى بن معين: ما خالف أحد سفيان في شيء إلا كان القول قول سفيان. وقال إسحاق بن هانيء: قلت لأحمد: إن اختلف سفيان وشعبة في الحديث، فالقول قول من؟ قال: سفيان أقل خطأ، وبقول سفيان آخذ، وقال أيضًا: سفيان أحفظ للإسناد وأسماء الرجال من شعبة. وقال أبو عبيد الآجري: سمعت أبا داود يقول: ليس يختلف سفيان وشعبة في شيء إلا يظفر به سفيان، خالفه في أكثر من خمسين حديثًا القول فيها قول سفيان، وقال أبو حاتم الرازي: سفيان فقيه حافظ زاهد إمام، هو أحفظ من شعبة، وقال صالح جزرة: سفيان أحفظ من شعبة وأكثر حديثًا. وقال أبو زرعة الرازي: سفيان أحفظ من شعبة في الإسناد والمتن.

الأولية التي ذكرت للقلم هي بالنسبة لهذا العالم المشهود من السموات والأرض وما بينهما، ويؤيد ذلك قوله في الحديث: «**حتى تقوم الساعة**» أو «**إلى يوم القيامة**» فهو يدل على أنه إنما أمره حينئذ أن يكتب مقدار هذا الخلق إلى قيام الساعة، و لم يكتب حينئذ ما يكون بعد ذلك، فدل ذلك على أن القلم أول المخلوقات من هذا الخلق الذي أمر بكتابته (١).

(١) وروى ابن منده أبو القاسم عبد الرحمن في جزء (الرد على من يقول «الم» حرف لينفي الألف واللام والميم عن كلام الله عز وجل) (ص٧٧-٧٩) ح٣٥ بسنده عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: (إن قبلنا هاهنا أقوام يتكلمون في القدر) فكتب إليه عمر: (بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس الأشعري، أما بعد: فإن الله تبارك وتعالى أبرم أمره وأنفذ حكمه وقدر مشيئته وأخذ بالحجة على خلقه فيما أمرهم به من طاعته ونهاهم عنه من معصيته، فإذا أحب الله تبارك وتعالى عبدًا نصره، وإذا أبغضه خذله، جعلنا الله وإياك من عباده المنصورين العاملين بطاعته، فإذا وصل كتابي هذا إليك فادعهم، وأوعز إليهم، وانههم عن المعاودة بالخوض في أمر قد أحكمه الله عز وجل وفرغ منه، واعلم أن أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم فقال له: اجر. فجرى القلم بما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فقد فرغ الله عز وجل من السعادة والشقاء على عباده، فانههم عن الخوض فيما كانوا يخوضون فيه من أمر قد فرغ الله عز وجل منه، ومرهم بالاشتغال بتلاوة كتاب الله عز وجل فإن الله تعالى يكتب لمن تلا القرآن بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول (آلم) ولكن يكتب له بالألف عشرًا وباللام عشرًا وبالميم عشرًا، فالاشتغال بهذا الذي بين الله فضله أنفع لهم، وأعود عليهم في دنياهم وآخرتهم من الخوض في أمر قد فرغ الله تبارك وتعالى منه وأحكمه) وهذا الأثر عن عمر صحيح يؤكد ما سبق ذكره في قوله (إلى يوم القيامة). والله الموفق.

ويؤيد هذا ما جاء في حديث عمران بن الحصين — الذي تقدم — فيما رواه أبو إسحاق الفزاري وأبو عبيدة بن معن، عن الأعمش، عن جامع، عن صفوان، عن عمران، فذكر الحديث، وجاء فيه:

أن النبي ﷺ، قال: «**كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء، ثم كتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السموات والأرض**». و «ثم» تفيد الترتيب مع التراخي. وبمعنى حديث عمران جاء حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما إذ يقول: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**كتب**» وفي لفظ: «**فرغ**» وفي لفظ: «**قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**»[1].

(١) رواه ابن وهب في القدر (ص١٠١) ح١٧، وأحمد في المسند (١٦٩/٢) ح٦٥٧٩، وعبد بن حميد في المنتخب (٣٠٥/١) ح ٣٤٣، ومسلم في صحيحه (٢٠٤٤/٤) ح ٢٦٥٣، والبسوي في تاريخه (٥١٣/٢ – ٥١٤)، والدارمي في رده على المريسي (ص ١٩٩) وفي الرد على الجهمية (ص١٢٢، ١٢٦) ح ٢٥٤، ٢٦٢، والبزار في مسنده (١٨/٢) مخطوط، وابن الإمام أحمد في السنة (٢/ ٣٨٧ – ٣٨٨) ح ٨٤٢، والترمذي في جامعه (٤٥٨/٤) ح ٢١٥٦ وقال: حسن صحيح غريب، والآجري في الشريعة (ص١٧٦)، وابن منده في التوحيد (٩٢/١ – ٩٣) ح١٢، ١٣، واللالكائي في شرح الاعتقاد (٥٨٠/٤) ح١٠٢٥، ١٠٢٦، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٣٢٧/١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٣٤/٢) ح٧٩٩ وفي الاعتقاد (ص ٨٦)، والخطيب في تاريخه (٢٥٢/٢) ت٧٢١، والبغوي في شرح السنة (١٢٣/١) ح٦٧، من طرق عن حميد بن هانئ أبو هانئ الخولاني، عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن زيد المعافري، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما به.

ويشهد لما تقدم من أنه لا ابتداء لخالقيه الله في الماضي ما رواه حماد بن سلمة، عن يعلي بن عطاء، عن وكيع بن حدس [١] عن عمه أبي رزين العقيلي ﷺ أنه قال: يا رسول الله، أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: «**كان في عماء ما تحته**

(١) ويقال: عدس، وقد رجح أنه (حدس) بالحاء الإمام أحمد كما في المسند (١١/٤) ح ١٦٢٣٤ قال: الصواب حدس، وقال أبو داود في سؤالاته لأحمد ص١٧٥ س٤٢: سمعت أحمد يقول: «رأيت في كتاب الأشجعي عن سفيان عن يعلي بن عطاء عن وكيع بن حدس، يوافق حمادًا بن سلمة» وقال في (العلل ومعرفة الرجال) رواية ابنه عبد الله (٤٢٩/٣): الصواب ما قال حماد بن سلمة وأبو عوانة وسفيان، قالوا: وكيع بن حدس، وقال: هشيم يتابع شعبة، وكذا نقله ابن ماكولا في الإكمال (٤٠٠/٢)، وقال الآجري عن أبي داود: قال: سمعت عيسى بن يونس يقول: رأيت رجلاً من ولد وكيع فسألته عنه فقال: ابن حدس، وقال ابن حبان في كتاب مشاهير علماء الأمصار (ص١٢٤) ت ٩٧٣: أما شعبة وهشيم فقالا: وكيع بن عدس، وقال حماد بن سلمة وأبو عوانة: ... وكيع بن حدس، والصواب بالحاء، والله أعلم، وقال في الثقات (٤٩٦/٥): أرجو أن يكون الصواب: حدس بالحاء، سمعت عبدان الجواليقي، يقول: الصواب حدس، وإنما قال شعبة: عدس، فتابعه الناس، وقال في صحيحه (٤٨٢/١) ح ٢٤٧: شعبة واهم في قوله عدس، إنما هو حدس كما قاله حماد بن سلمة وأولئك.

ورجح الترمذي في جامعه (٢٨٨/٥) أن الصواب: عدس، وكذا قال موسى بن هارون كما روى النقاش عنه، ونقله ابن ماكولا في الإكمال (٤٠٠/٢).

والصواب عندي: هو القول الأول وهو: وكيع بن حدس بالحاء، فإن شعبة كثيرًا ما يخطئ في الأسماء، وخالفه سفيان؛ فالقول قوله كما تقدم، فكيف إذا تابعه حماد بن سلمة وأبو عوانة؟ وأما متابعة هشيم لشعبة فكما قال الإمام أحمد أن هشيمًا يقلد شعبة، والله أعلم.

هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء»(١).

وقوله: (**عماء**): هو السحاب الأبيض (٢)، وهو شبه الدخان

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (ص١٤٧) ح١٠٩٣، وأحمد في مسنده (٤/١١، ١٢) ح١٦٢٣٣، ١٦٢٤٥، وابن ماجه في سننه (المقدمة) (١/٦٤) ح١٨٢، وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٧١-٢٧٢) ح٦١٢، وابن الإمام أحمد في السنة (١/٢٤٥) ح٤٥٠، والترمذي في جامعه (٥/٢٨٨) ح٣١٠٩ وقال: حديث حسن، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في العرش (ص٥٤) ح٧، وابن جرير في تفسيره (١٢/٤) وفي تاريخه (١/٣٧-٣٨) والطبراني في الكبير (١٩/٢٠٧) ح٤٦٨، وأبو الشيخ في العظمة (١/٣٦٣-٣٦٦) ح٨٣، ٨٤، وابن عبد البر في كتاب التمهيد (٧/١٣٧) وابن أبي زمنين في أصول أهل السنة، مخطوط (ص٧) باب في الإيمان بالعرش، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٢٣٥، ٣٠٣) ح٨٠١، ٨٦٤، والذهبي في العلو (ص١٩) وحسن إسناده، والحديث رجاله ثقات، إلا ما يقال في وكيع بن حدس من جهالة وقد وثقه ابن حبان، بل قال عنه: إنه من الأثبات، كما في مشاهير علماء الأمصار، ووكيع من التابعين وقد روى عنه ثقة، ولم يرو ما ينكر، بل أحاديثه مشهورة ولم يقدح فيها، وقد وثق الأئمة كثيرًا ممن يشبه حال وكيع، وقد حسن حديثه الترمذي بل قد صحح الحديث ابن جرير في تاريخه (١/٤٠)، وخرج ابن حبان أحاديث بهذا الإسناد في صحيحه، وقال الحاكم عن حديث بهذا الإسناد: (صحيح الإسناد). ووافقه الذهبي، وحسن سنده ابن حجر، وقال أبو القاسم بن سلام: «هذه الأحاديث صحاح حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم على بعض، وهي عندنا حق لا شك فيها». وقد ذكر فيها هذا الحديث (الصفات للدارقطني ح٥٧).

(٢) قال محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب العرش (ص٥٤) ح٨: «حدثنا عبد الله بن مروان بن معاوية قال: سمعت الأصمعي يقول وذكر هذا الحديث فقال: العماء الممدود في كلام العرب السحاب الأبيض، وأما العمى المقصور ففي البصر وليس هو من معنى هذا».

=

يركب رؤوس الجبال [١]. وقيل: السحاب الكثيف المطبق [٢].

فدل الحديث على أن هذا العماء مخلوق قبل العرش، لقوله: «**ثم خلق عرشه على الماء**» فالله أعلم بما كان قبل هذا العماء من مخلوقات، وإنما ننتهي إلى ما علمنا سبحانه.

=

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث (٨/٢): «قوله: في عماء: في كلام العرب: السحاب الأبيض، ثم نقل قول الأصمعي والشواهد من كلام العرب إلى أن قال: وإنما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم، ولا ندري كيف كان ذلك العماء وما مبلغه، والله أعلم، وأما العمى في البصر فإنه مقصور وليس هو من معنى هذا الحديث في شيء». وقال الأزهري في تهذيب اللغة (٢٤٦/٣): «القول عندي ما قاله أبو عبيد أنه العماء، ممدود، وهو السحاب».

(١) قال الجوهري في الصحاح (٢٤٣٩/٦): «والعماء ممدود: السحاب. قال أبو زيد: هو شبه الدخان يركب رؤوس الجبال».

(٢) قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين: «العماء: السحاب الكثيف المطبق، فيما ذكر الخليل» انظر: مخطوط أصول أهل السنة لابن أبي زمنين (ص٧) وانظر الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥٥/٥).

وقال الأزهري «قال الليث: العماية والعماءة: السحابة الكثيفة المطبقة».

وقال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (١٣٥/٤): «العماء: السحاب الكثيف المطبق، والقطعة منه عماءة».

وقال الخطابي في إصلاح غلط المحدثين (ص٤٦) ح٦١: «يرويه بعض المحدثين في عمى (مقصور) على وزن: عصًا وقفًا. يريد أنه كان في عمى عن علم الخلق، وليس هذا شيئًا، وإنما هو في عماء (ممدود)، هكذا رواه أبو عبيد وغيره من العلماء. قال: والعماء: السحاب. قال غيره: الرقيق من السحاب».

فائدة مهمة

وهي أن من عرف ذلك عرف عظم التسبيح الذي أخبر به رسول الله ﷺ، أم المؤمنين جويرية، لما خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة في مصلاها، فقال: «**مازلت على الحال التي فارقتك عليها؟**» قالت: نعم، قال النبي ﷺ: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**»[1].

(١) رواه الحميدي في مسنده (٢٣٢/١) ح٤٩٦، وأحمد في المسند (٢٥٨/١، ٣٥٣) ح٢٣٣٤، ٣٣٠٨، (٣٢٤/٦-٣٢٥، ٤٢٩-٤٣٠) ح٢٦٨٠١، ٢٧٤٦١، والبخاري في الأدب المفرد (١٠٢/٢) ح٦٤٧، ومسلم في صحيحه (٢٠٩٠/٤) ح٢٧٢٦، وأبو داود في سننه (١٧١/٢) ح١٥٠٣، وابن ماجه في سننه (١٢٥١/٢-١٢٥٢) ح٣٨٠٨، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤٣٧/٥-٤٣٨) ح٣١٠٦-٣١٠٨، والترمذي في جامعه (٥٥٦/٥) ح٣٥٥٥ وقال: حسن صحيح، والنسائي في المجتبى (٨٦/٣-٨٧) ح١٣٥١، وفي الكبرى (٤٠٢/١) ح١٢٧٥، (٤٨/٦-٥٠) ح٩٩٨٩-٩٩٩٣، وأبو يعلى في مسنده (٤٩١/١٢) ح٧٠٦٨، وابن خزيمة في التوحيد (١٧/١) ح٥، وابن حبان في صحيحه (١١٠/٣، ١١٣-١١٤) ح٨٢٨، ٨٣٢، والطبراني في الكبير (٦١/٢٤-٦٣) ح١٦٠-١٦٣، وفي الدعاء (١٥٨٦/٣-١٥٨٧) ح١٧٤١، ١٧٤٢، وابن منده في التوحيد (٢٧/٣-٢٨، ١٣٧-١٣٩) ح٣٧٨، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، وأبو إسماعيل الهروي في الأربعين في دلائل التوحيد (ص٥٢-٥٣) ح١٠، والبغوي في شرح السنة (٤٥/٥) ح١٢٦٧، وابن أبي حاتم في علله (٢٠٧/٢) ح٢١١١.

فإن ما يقوم بقلب الذاكر حين يقول: «**سبحان الله وبحمده عدد خلقه**» من معرفته وتنزيهه وتعظيمه لله بهذا القدر المذكور من العدد، أعظم مما يقوم بقلب القائل: «**سبحان الله وبحمده**» وهذا يسمى الذكر المضاعف، وهو أعظم ثناء من الذكر المفرد المجرد، وهذا إنما يظهر في معرفة هذا الذكر وفهمه، فإن الذاكر لله بهذا الذكر يخبر أن ما يستحقه الرب من التسبيح وهو تنزيه الله وتعظيمه والثناء عليه، هو تسبيح يبلغ هذا العدد العظيم، الذي لا يبلغه العادون، ولا يحصيه المحصون، ولو كان في العدد ما يزيد عليه لذكره، فإنه ليس لخالقية الله ابتداء، فالله يخلق في الأزل، والأزل ليس شيئًا محدودًا، وكذلك لا أحد يحصي الحاضر من خلقه، وتجدد المخلوقات لا ينتهي عددًا.

وأما قوله: (**ورضا نفسه**) فإن المراد: تسبيحًا هو في العظمة والجلال مساوٍ لرضا نفسه سبحانه، ولا ريب أن رضا نفس الرب أمر لا نهاية له في العظمة والوصف.

وأما قوله: «وزنة عرشه» فالمراد: تسبيحًا هو في العظم والثقل وكبر المقدار مساوٍ لزنة العرش الذي هو أثقل المخلوقات على الإطلاق، فلم يحمله حملة العرش بقوتهم وبشدة أسرهم، ولكن بقوة الله وتأييده.

وأما قوله: «مداد كلماته» فهذا يعم الأقسام الثلاثة ويشملها، فمداد كلماته سبحانه لا نهاية لعدده ولا لصفته وعظمته ولا لثقله وقدره [1].

(١) انظر: المنار المنيف – لابن القيم.

فسبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

تمت الرسالة بحمد الله وفضله ومنه وكرمه

***